والدي والقرآن

(ذكريات وخواطر عن علاقة والدي صالح بن سليمان الدهش

(ت ٢٨/صفر/١٤٣٨هـ) رحمه الله مع القرآن)

كتبها: عبدالرحمن بن صالح الدهش

بسم الله الرحمن الرحيم

والدي والقرآن

الحمد لله القائل (ولا تنسوا الفضل بينكم)، وصلى الله وسلم على نبينا محمد أوفى عباده عهداً، وأحسنهم خلقاً وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:-

فحينما يكتب الإنسان عن والده الذي عاش معه، وأكرمه الله بالقرب منه، يصبّح عليه ويمسّي فإنه بالضرورة سوف يجد نفسه يكتب عن نفسه هو في كثير مما يسطره !

لذا على القارئ أن يستوعب الحرج الذي يمر به من يبري قلمه ليكتب خواطر عن والده، أو ذكريات يرى في تسطيرها طرفاً من البر وجزءاً من الوفاء بذكر محاسن أهل الفضل .

اخترت أن تكون الكتابة عن والدي – رحمه الله – بعد أن مضى على إنزاله في قبره، ووضعه في لحده مأسوفاً على فراقه، محتسبين لوعة غيابه أكثر من أربعة أشهر لتكون الكتابة بعيدة عن العاطفة التي ربما تصرفت في بعض العبارات وساقت إلى شيئ من المزايدات .

فأقول: والدي صالح بن سليمان بن عبدالله الدهش ولد في بريدة عام١٣٤٦هـ على ما هو مثبت في بطاقته رحمه الله، وقد نشأ يتيما لم ير والده سليمان رحمه الله، فبقي في كفالة أمه في بيت أخواله الرسيني، ولما بلغ سن الدَّرس والذهاب للكتاتيب درس ما يدرسه أبناء زمانه، من القراءة والكتابة والحساب، وخصوصاً ما يتعلق بالقرآن وتجويده حتى تجاوز هذه المرحلة التي أهلته للالتحاق بدروس مشايخ بلده فقد عاش زمن وفرة المعلمين الصالحين، والعلماء الربانيين من آل سليم وغيرهم .

فالتحق في حلقة علامة زمانه الشيخ عمر بن محمد بن عبدالله بن سليم المتوفى (١٣٦٢هـ) ودرس عليه ما جرت العادة بقراءته من كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرها ، وكذا قرأ على الشيخ عبد العزيز الإبراهيم العبادي الضرير المتوفى (١٣٥٨هـ)

وكان الشيخ العبادي من أجود أهل زمانه في حفظ القرآن وتجويده ([1]).

وقد عرفت والدي – رحمه الله - وعرفت القرآن معه، فالقرآن صديقه، وآيات الله على لسانه ليست في موعد محدد، وترنمه ليس مؤقتاً في جلسة دون أخرى!

فمصحفه خياره غير المنازع في جلوسه، وفي حله وارتحاله .

فهو عدة الحضر، وأول زاده ومتاعه في التنقل والسفر.

حتى في رحلته البرية في زمن سبق على قلتها فالمصحف في يمناه، وبقية ما قد يحتاجه في يده الأخرى .

كان والدي – رحمه الله تعالى – يحفظ القرآن وهو من يفتح على إمامنا في حينا في صلاة التراويح وغيرها بلا مسابق .

ولكنه كان يرى أن إدامة النظر في المصحف لها أثر على محافظته على نظره، لذا متعه الله بحاسة البصر فلم يشتك ضعفاً أو علة في عينيه حتى توفاه الله .

وقد وجدت أن لهذا أصلاً في كلام السلف [1] .

ومن لطفه – رحمه الله - ولطيف أخباره فيما يتعلق بقراءته من المصحف أنه ربما تقصد القراءة من مصحف جاءه هدية من ابن أخته البار به، الواصل له، والذي كان والدنا يعتبره بمنزلة أحد أبنائه ثم يعلل ذلك بقوله: لعل الله يُشركه في أجر القراءة فرحم والدنا ورحم الله ابن أخته .

أنعم الله على والدي بحسن التلاوة ، وسلامة الأداء مع التجويد في الجملة على طريقة القرآء في القصيم خصوصاً ونجد عموماً .

---

(١) ينظر: علماء آل سليم وتلامذتهم، لصالح العمري

(٢) في كتاب التبيان للنووي عقد فصلا قال فيه (قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر، هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالي وجماعات من السلف ونقل الغزالي في الإحياء أن كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف

وروى ابن أبي داود القراءة في المصاحف عن كثيرين من السلف ولم أر فيه خلافا ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولا حسنا والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل)

فقراءته سلسة لا يملّ السمع من سماعها، إضافة إلى جودة الصوت في ترتيل على طريقة الحَدْر حتى لا يكاد يبدأ بالسورة إلا وقد أتمها، وقد أعطى القراءة حقها، ومستحقها، وربما أعطى من أبنائه المصحف ليضبط عليه ويتابع قراءته، تعليماً وتأديباً وغرساً لبذرة محبة القرآن في نفوس الناشئة فلا يشعر المتابع لقراءته بالمصحف إلا أن قراءة الوالد رحمه الله قد سبقت متابعته، وتجاوزت الموضع الذي ينظر فيه!

ولذا تعددت ختماته للقرآن في الوقت الوجيز فقد حدَّث عن نفسه بعد إلحاح عليه أنه يختم كل ثلاث ليال، وفي رمضان ربما تقلصت المدة إلى ثلثها فصارت له ختمة في كل ليلة !

وهذه منة من الله يختص بها من يشاء من عباده.

يبدأ ورده اليومي في القرآن في وقت مبكر فكان حريصاً ألا يتأخر في نومه كثيراً بعد العشاء .

ثم لا تلفيه قبيل ساعات السحر إلا وهو قائم في مصلاه،أو قد نشر مصحفه بين يديه يقرأ بصوت يسمع القائم، ولا يوقظ النائم ثم لا يزال كذلك بين قراءة وصلاة وقد أعدت له الوالدة رحمها الله أو غيرها من أهل البيت ما يستعين به على ذلك من القهوة والحليب لاسيما في الليالي الطويلة الباردة، - وهي طريقة له قديمة عرفناها منه، وربما سأل صغارُ أهل البيت عن هذا الاستعداد والناس سوف ينامون! وما علموا أن في البيت من تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون – ولا يزال على قراءته وصلاته حتى يطلع الفجر ويؤذن المؤذن وها هو يستعد لصلاة الفجر ويوقظ من حوله ممن يوقظون للصلاة، ولله دره كيف كان يوقظنا ؟

كان يوقظنا بالقرآن ! نعم يوقظنا بالقرآن .

فهو لايزال يتمتم بقراءته بذاك الصوت الندي الذي قطَّع به ليله !

فلصوته في تلك اللحظات أعظم صوت!

فلله دره وقدس روحه كيف وفق ليجعل أول مسموع لنا في يومنا كتاب ربنا بصوت والدنا ؟.

وهذه الصلاة والقراءة الليلية لم يستغن بها عن ركعات متعددة وقراءة كثيرة من الضحى حين ينتصف النهار فلم يخل بها في سفر ولا حضر.

وأما قراءته بين الأذان والإقامة وهو الوقت الفاضل الذي ضيعه كثير من الناس بتأخرهم في الحضور للصلاة فأصبح حضورأكثرهم على إقامة الصلاة ناهيك عمن فوت نفسه بعض الركعات .

فلقد شهدت والدي وشهد له غيري بالتبكير للصلاة لاسيما في صلاة العصر والمغرب الذي لا يقل تقدمه إليهما عن نصف ساعة غالباً فقد كانت لحظات الانتظار للصلاة – ولا يزال المرء في صلاة ما انتظر الصلاة – كانت تلك اللحظات أيضا لها نصيبها من الترنم بالقرآن فهو يرتل القرآن على ما جرت به عادة الناس من رفع الصوت بالقرآن في المساجد بطريقة متعارف عليها ليس فيها أذية لأحد، بل كانت هذه العادة مما يحفز بها الناس بعضهم بعضاً، وصار بعض الناس يتأسفون على ذهابها، وصرت تدخل المسجد فلا تسمع فيه تالياً حتى في شهر رمضان شهر القرآن تدخل المسجد والصمت يخيم على الحاضرين !

وإن وجد قارئ منهم فهو لايكاد يسمع نفسه، وبعضهم إنما يقرأ بعينه ولا يحرك شفتيه . [٢]

[٢] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (ا لقراءة لابد أن تكون باللسان ، فإذا قرأ الإنسان بقلبه في الصلاة فإن ذلك لا يجزئه ، وكذلك أيضاً سائر الأذكار ، لا تجزئ بالقلب ، بل لابد أن يحرك الإنسان بها لسانه وشفتيه ؛ لأنها أقوال ، ولا تتحقق إلا بتحريك اللسان والشفتين " انتهى .

مجموع فتاوى ابن عثيمين" (١٥٦/١٣)

عنايته بالمصحف

كان رحمه الله له عناية بالمصحف تبدأ من اختيار نوعية المصحف الذي يقرأ فيه فلا يقرأ إلا بالمصحف الذي يسمونه على الضبط ويسمى في وقتنا الحاضر بالمصحف الموجه الذي تبدأ الآية فيه من أول الصفحة ولا توجد آية قسمت بين صفحتين كما في بعض الطبعات للمصحف – وعلى هذه الطريقة طريقة الضبط مصاحف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وكان يقول إن هذه المصاحف أضبط لعدد صفحات الجزء الواحد، وأعون للحفظ حيث يتذكر الحافظ رأس الصفحة ونهايتها .

ولذا كان يتولى - رحمه الله – في أول أمرنا شراء المصاحف لنا بنفسه خشية أن نُخِلَّ بشرطه .

ومن عنايته بالمصحف أنه ربما أبدى انزعاجه من مصحف تمزق شيء منه، أو بدأ عليه تفكك في شَدّه وتجليده .

وكان يبادر إلى تعاهد مصحفه الخاص بالتجليد الذي يسمونه (الحَبْك) وهو تجليد يدوي ربما استغرق وقتاً وأخذ مالاً .

و قد حبك له عدة مصاحف بأحجام متفاوتة .

وقد وجدنا له بعض المصاحف التي كتب بعض أوراقها بخط يده لما تعذر ترميمها، أو فقدت من المصحف كتبها بخطه الجميل وعنايته الفائقة، ثم أدرجها في موضعها من المصحف وضمت في الحبك تبع المصحف الأصلي .

ثم لا يزال مهتماً بمصحفه معظماً له فكان يضعه بالكيس القماشي الذي يسمى (البقشة).

ومن عنايته بالقرآن عنايته بالطهارة له فهو لا يقرأ من المصحف إلا على طهارة، وربما سألني المرة بعد المرة عن القراءة من المصحف من غير وضوء فكنت أذكر له رأي من أجاز ذلك [1]

[1] وهو مذهب الظاهرية ، ومروي عن جملة من السلف م الصحابة ومن بعدهم

ولكنه لم تطب نفسه بهذا الرأي فكان من آخر أمره لما شقت عليه المحافظة على وضوئه يقرأ بالمصحف من وراء حائل وكان قد اتخذ ما يسمى بالمداسيس (القفازات) الخفيفة لهذا الغرض فسبحان من جعل القرآن أنيس جلسته وحبيب قلبه!

وربما ترجم عن تعلقه به، وشدة محبته له أنه ربما ختم قراءته بتقبيل المصحف [٣] ، ثم يردف ذلك بصريح قوله إنه يحب القرآن والقراءة فيه.

وقال لي مرة: لما أريته كتاباً معي وقلت له: إن كنت تريد تقرأ فيه فقال: القراءة في القرآن أحبُّ إليَّ أو كلمة نحوها .

وبهذا يعلم سرَّ استمراره على قراءته، وبقاء مصحفه بيده بين جلسائه الذين يكثر مجيئهم له، ولا كلفة بينه وبينهم.

وربما تمثل بشيء من القرآن، واستشهد به مكتفياً به

فحينما يجري الكلام على بعض مآسي المسلمين والحروب التي تجري عليهم ربما اكتفى بقوله تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه) .

وإذا جرى نقاش حول بعض التجاوزات الأسرية في الحفلات أو غيرها تمثل بقوله تعالى (والأمر إليك) .

ومن الآيات التي يرددها كثيراً وهو نائم في فراشه (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ...)، وكذا قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار)، وكذا قوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) .

وإذا تم أمر له من غير تخطيط أو جاء على خلاف توقع يستشهد بقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

وعند تذاكر النعم وتنوعها يستشهد بقوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)، وربما رددها بين لقيمات طعامه في غدائه أو عشائه!

---

[٣] اختلف العلماء في تقبيل المصحف فاستحب ذلك الإمام أحمد في إحدى الروايات عنه، وهو مروي عن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه بسند منقطع، قال شيخ الإسلام: " وأما القيام للمصحف وتقبيله فلا نعلم فيه شيئاً عن السلف" الفتاوى (٦٥/٢٣)، وينظر المتحف في أحكام المصاحف (ص ٤٣٨) د. صالح الرشيد

وقد يستشكل شيئاً من القرآن، وكأنه يسترجع معنى سبق به عهده، وطال به زمنه فربما سأل ما معنى القضب في قوله تعالى (عنباً وقضبا) ؟

ثم يجيب بأن الظاهر أنه طعام للبهائم بدليل قوله (متاعاً لكم ولأنعامكم)

وطلب مني مرة مراجعة ما قيل في قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) .

وبادرني مرة أن كلمة **(دراهم)** في القرآن لم ترد إلا في موضع واحد في قوله تعالى (ودراهم معدودة) .

تأثره بالقرآن

كان رحمه الله تعالى قريب الدمعة، وربما خنقته العبرة وهو يتحدث بنعم الله عليه، ويستشهد بقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) وخاصة حينما يجتمع إليه بعض أولاده وأحفاده وأسباطه ويجري حديث حول طول العمر وحسن الخاتمة.

وأما دمعته عند قراءة القرآن فهي ملحوظة لمن رمقه وهو يكفكف دموعه، ويمسح وجهه متأثراً بما قرأ .

وحينما يسمع القرآن خصوصا من المذياع في التنقلات الطويلة أو في بعض الأسفار فإنك تلحظ انصاتاً واضحاً وربما سابق القارئ ببعض ما يقرأ استعجالا للقراءة وتفاعلاً مع القارئ ثم ما إن تنتهي القراءة إلا وترى أثر ذلك في عينين متأثرتين .

أثر القرآن عليه ..

لا نغفل جانباً من علاقته بالقرآن وهو الرقية به، وحدَّث عن نفسه أنه لحقته بعض العوارض الصحية في أول حياته فعالجها بالقرآن ووجد أثر ذلك مباشراً في ذهاب ما يجد .

وأصل ذلك في قوله تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وغيرها .

وكان يبادر من يعتلُّ من أولاده وأهل بيته برقية مختصرة غير متكلفة يجد المقروء عليه بردها في حينها، ولا يتردد إذا طلب منه القراءة لأحد في ماء ونحوه، غير أنه لم يتفرغ لهذا العمل كما هو هدي السلف .

وبعد كل هذا لا نرى - والله أعلم - سعة صدره وانشراح نفسه، ورضاه بقضاء الله وقدره، وصبره على ما لحقه في آخر حياته من ضعف عام، وعدم شكايته لأحد من الناس ما حل به، وقبل ذلك محبة الخلق له، وذكره الحسن، وثناء الناس عليه، وحمدهم لسيرته، وجميل أخلاقه، وعدم عتبه على من قصر في حقه لا نرى ذلك إلا من بركة القرآن، وعنايته بكلام الرحمن .

فالقرآن يربي النفوس، ويمنعها مما يشينها ويُنقصها، ويحملها على ما يزينها، وينفعها .

أسأل الله أن يجعل القرآن حجة له يوم يلقاه، وشفيعاً له عند مولاه .

